قاسم حدّاد

الدنيويات

شعر

منسيات الآلهة



المنسيات

المؤلف: قاسم حداد / عنوان الكتاب: المنسيات
الطبعة الأولى: 2023.
تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 979-12-80738-82-0



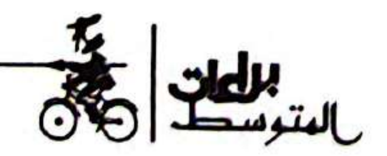
منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:
Alzaia Naviglio Pavese. 120/ 20142 Milano / Italia
العراق / بغداد / شارع المتنبي / قيصرية المصرف - طابق أول / ص.ب 55204.
الإمارات العربية المتحدة / الشارقة / المنطقة الحرة / مدينة الشارقة للنشر / مركز الأعمال
www.almutawassit.it / info@almutawassit.org

قاسم حدّاد

المنسيات

منسيات الآلهة



إلى قلب الحب
موزة خليفة الشملان
أم طفول

جاؤُوا من البحر

وذهبُوا إليه
وكنتُ في انتظارِهِم
في نساءِ البيتِ والكائنات
جاؤُوا يحمِلُون الماءَ والهدايا
والسَّمكَ المُمَلَّحَ المرغوب
يأتُون في الخشبِ الغريب
مُشرَّشِينْ بالمَحار
ظَهْرُ السَّفينةِ مَرقدُهم.

يأتُون
مُجرَّدين مِن لُؤلُئهِم
مِن تُراثِهِم الطَّويل
لا يَكترِثُون بما يُصيبُهم
وما يُصابُون به مِن ليل
ليلُهُم أطولُ مِن النَّهار
ونومُهم أقلُّ مِن الحُلْم.

يأتُون

يذهُبون
ونحنُ في انتظار.

تلك الأغاني

كنَّا نُغنِّيها ونسمعُها
ونشعرُ أنها ليستْ لنا
ننسى ونَسكرُ
نكتبُ غيرها
ونُؤجِّل النِّسيانَ للموتِ الأخير
لنكتبَ أُغنيَّاتٍ تَحتفِي بحياتِنا
لا موتَ فيها
لا يطالُ حُرُوفَها النِّسيانُ
تلك الأغاني ما لنا فيها
وليسَ لها
لن نُغنِّيَ مثلَها كلمات
بيننا ما يجعلُ المَعنَى دليلاً للطَّريق
فَهَاتِها، يا أيُّها السَّاقِي
لنكتبَ بالنَّبيذِ زَعانفَ الأسماك
نبتكرُ الحَسَكَ
ما يجعلُ الأسماكِ تلبسُ ما تُحبُّ مِن المياه
في البحرِ أو في النَّهر
ترتجُّ البُحيراتُ الوسيعةُ بالأغاني

مثلما يتوقَّعُ البحَّارةُ الشُّجعان
تَصقُلُهُم أغاني البحر
تجعلُهُم أغاني البحر
يُعيدُون ابتكارَ الفجرِ ثانيةً
ويَنتحِلُون أشعاراً لمختلفِ الأغاني.

أيُّها السَّاقِي، تعال
هاتِ الكأس
يخترعُ النَّبيذُ لنا
ويرتجلُ الأغاني
لا نُغنِّيها
ولا ننسى كلماتها
ولا "نَزْفِنْ" مع "الفْجِرِي"
هاتِ الكأسَ
هاتِ الكأسَ هاتِ.

جناحُ النَّورسِ المَذعُور

ريشٌ أبيضُ السَّاعاتُ مثلُ النُّور
وأُراقبُ الشَّاطئ
بفَنَاري الخَاطِئ
ريشٌ له في البحر
أصدافٌ وزعنفةٌ ورُطُوبةُ الأعماق
وطَحالبٌ مَشمُولةٌ في السَّاق
أبحثُ عن الحَجَرِ القديمِ له
كي يستريحَ قبلَ الماء
عبرَ المُحيط
لكي يُحيطَ البحرَ بالتاريخ
جاءَ في عربةِ الهَوَاء
جناحٌ مُتعَبٌ يتنفَّسُ الزُّرْقَة.

لي نَورسٌ
دَمِثُ الخِصَال
يَسعَى على الرِّيحِ النَّشيط
نحوَ المُحيط
هو نَورسٌ في مُستَدقِّ الرِّيش

يكتشفُ الشَّواطئ
بين التفاتتِهِ ودَورتِهِ الأخيرة
شهقةٌ
وثمانِ ريشاتٍ طويلاتِ الرَّحيل
أمحو بها تعبَ النَّعيق
لكي يكفَّ الطَّيرُ عَن أسفارِهِ
فلهُ مِن الماءِ الكبير
دربٌ طويل.

مدينتان

مددْتُ روحي كي تَطالَهُما
أطالُ فَراشةً حطَّتْ على المَقْعَد
في مدخلِ المقهى
مقهىً يجاورُ جامعةَ «لايبزغ»
طفلةٌ تكتشفُ الفُنُونَ هناك
وكنتُ فيها
جسراً طيِّعاً، ويدَيْن تمتدَّان بين الرِّيفِ والغرفة
يا ليتَني، مثلَ الطُّفُولةِ، أنتمِي إلى الماء
فلم أزلْ جسراً يطوف
بما يمتدُّ بين الميمِ والأخرى
جسراً
ويَصْدِفُ أن يمرَّ البحرُ والأسماكُ والسُّفُنُ الصغيرة
تحتَهُ،
ويأذنَ لي بتأريخِ الحريق
جسرُ «المحرق»،
أذكرُ
نستعيدُ الدَّرسَ فيه،

نتّقي شمسَ الظَّهيرة
تحتَهُ
قبلَ البحر.
ونمدُّ أيدينا
حوالَيْنا
لنصطادَ الكَسَالى مِن بناتِ البحر
نكتشفُ السِّنين
ونَرقُبُ الأيَّامَ
تَمرُقُ مثلَ الوقت
يا للوقت!

مدينةٌ أخرى، وما يبقَى من العربات،
فوقَ الجسرِ، تاريخٌ مِن الحسرات
كنتُ أذكر.
هل نسيت؟
مدينتان
منذُ المحرق،
كنتُ في «لايبزغ»
كأنَّ الوقتَ يسمعُنا ويسري بين أيدينا
نلهو وننتظرُ.

وحفيدتي تدري

فتكتشفُ الفُنُونَ، والعدسات

في "لايبزغ"،

وترجعُ كي تُرمِّم ذاكرتي

من النِّسيان.

فنسيتُ أن أنسى.

حملقتُ في الجدار

(إلى صديقِ الزِّنْزَانَةِ الفنَّان عبد الله يوسف)

وتذكَّرتُ أُغنيَّة
"أُحبُّ عيشة الحُرِّيَّة"
أكتشفُ السُّجُونَ التي ضاقت
لتنهارَ جُدراني
ويأخذَني الخيالُ في حُرِّيَّتي نحوَ البحار.
وكلَّما ناديتُ عصفوراً يحطُّ على حبالِ السَّطح
فرَّتْ ريشةٌ مِن دَفتري
فكتبتُ نَصَّ الريحِ وهو يطيرُ.
وكلَّما بالغتُ في حُبِّي لأحجارِ الطريق
كما الحريق
حرَّكَتْ كَبِدِي تفاصيلَ المغارةِ وهي تكبرُ في الصَّلاة
كلَّما تأخَّرَ تشكيلُ القَنَاني في بلادٍ،
قرَّتِ البلدانُ بالحُكْمِ القديم
فليس سهلاً يَعثُرُون على شخصٍ يُناسبُهُم.

كلَّما امتلتْ نوافذُ البيتِ القديم

لفرشاةٍ تُغيِّرُ لونَها دارَ الغبارُ
يمحو عقابيلَ الخشب
بلا سبب.

فِي خشبٍ قديم

يصنعُ كتابتَهُ الجديدة
يُعِدُّ شَاياً شَاهِقاً
يَغمِسُ فيه كسرةَ الخبزِ القديمة
خبزٌ هنالكَ، لا يُطاولُهُ العَفَن
ولا الزَّمن
خبزٌ هنا يتحيَّنُ الميزان
أو يَصطادُهُ نَرْدُ المِحَن
على شَظَفٍ مِن الأشجارِ يُدرِكُ غابةً
كالنَّار
لينالَ حصَّتَهُ مِن الشَّجرِ القديم
يَصقُلُهُ بما يَبقَى من التّذكار
مثلَ النَّار
يكتبُ ما يُحوِّلُ آخرَ الذِّكرى كتاباً
يُؤثِّثُ البيتَ القديم
بما يظلُّ مِن القديم.

شايٌ وكسرةُ خبزةٍ
وثلاثُ أشجارٍ على بابِ الحديقة

عِنبٌ وكُمَّثْرَى وتُفَّاحٌ.

أرومةٌ في آخرِ الغابات
لا يَنسَى،
لهُ في عَتَمَةِ العَفَن
تآويلٌ بلا وَطَن.

مُدُنٌ كثيرة

وما بينَ عينَيَّ بحرٌ له زُرْقَةُ القلب
عبرتُ المُدُن
وحين انتهيتُ إلى شاطئِ البحر
شعرتُ بما يُشبهُ الغرقَ القرويَّ يُداعبُني
في النِّهايةِ مِن كتابِ الأساطير
في القُرى المُحاصرة
تكتبُ أُسطورةً للمدينة
لعلَّ الذي ماتَ في مهدِهِ يُسعِفُ ذاكرةَ الميتين
مُدُنُ العشق،
أرسمُ في شوارعِها كُتُبي التالية
تُساعدُني على الذِّكريات
شهواتُ الحياة
زوجتِي تحمي خُطايَ من التَّعثُّر بأحجارِ برلين
وتَسحرُني زُرْقَةُ الماءِ في شجرِ البُحيرات
كان الغرقُ القرويُّ يُداعبُني
ولكنَّني أنثني مثلَ غُصنٍ على الماء
عندما يَذكُرُون لي البيت
أعودُ من المُدُنِ السَّاحرة

لعَتَمَةٍ في الوَطَن
أعودُ،
إلى مُنتهى البداياتِ قاطبةً
أتذكَّرُ أنيِّ نسيتُ طريقِي إلى البيت
لولا الدَّفاتر
لولا الكتابةُ تُنقِذُني من عَثَرَاتِ الطَّريق
تشبَّثتُ بأصغرِ أحجارِها
برلين في لغةِ الذَّاكرة
أكبرُ من قريةٍ في المُدُن
أعبرُهَا كي أصلْ.

على لَبَنٍ في التُّراب

بكَيْنا
حيثُ لا ندمٌ ينفعُ في مُستهَلِّ النِّهايات
لنا رَعْشَةٌ،
خشيةٌ من صَفيرِ الحَرَس
كلَّما امتدَّتْ يدٌ لتمسَّ النُّحاس
انتبهَ الجَرَسُ الذي لا ينام
واهتزَّتِ الجَفَنَاتُ المُستعارَةُ من صفحةٍ في كتاب
ماذا يفيد
إذا ما بكَيْنا على لَبنٍ في التُّراب؟
مَنْ سيقرأُ قصَّتَنا في كلِّ باب؟
ومَنْ سوف يكترثُ اليوم
ممَّا سنجنِي غداً؟
سَهَوْنا عن الشَّمسِ أمسُ
وتركْنا ما يَقِينا من الحرارةِ والصَّيف
هَجَونا السُّيُوف
عقدْنا الرِّهاناتِ حولَ احتمال
اللَّبَنِ الرَّائبِ عندَ الصَّباح
وقُلْنا لأطفالِنا أن يكفُّوا عن النَّهْنَهَة

«سنبكِي لكم،
عندما نَنتهِي تبدَؤُون،
خُذُوا حذرَكُم
وتفادوا الجَرَسْ
كي لا يهبَّ الحَرَس».

سنبكِي دماً
ولن يكترثَ الآخرون بنا
إننا أسفُ الأمسِ والبارحة
على لَبَنٍ، ليس ينفعُنا، في التُّراب
مثلنا،
نحنُ في قلعةٍ حُرَّةٍ
ومن دونِ باب،
تلك قصَّتُنا الجارحة.

تبادلتُ مع المِئذَنَة

لغةَ الله
وهيَّأتُ نفسي لكي أكتبَ سورةً في الكتاب
لتفتتحَ الآيَةُ سيرتَها في شُهُورِ السَّنَة
يصعدُ شيخُ المدينةِ في رأسِها
يُصلِّي إلى ربِّهِ عادةً
ويرفعُ صوتَ الأذان
مجابهةً للكمان
يسمعُ النَّاسُ الشُّرُوخَ العميقةَ في المِدخَنَة
سُخَامٌ من الفحم
يمنحُ صورتَهُ المُستعارةَ للنَّاس
ويمسحُ عن قلبِ مَنْ ينتهي
حُزنَ انتعاشاتِهِ المؤُمنة.
تبادلتُ صوتاً
تجلَّى ليَ اللهُ في نغمةٍ حُرَّةٍ
لمستُ البياضَ على زهرةٍ في الحديقة
تَغَنَّى بها وَتَرٌ في الكمان
تجلَّى لي اللهُ في سَوسَنة.

«ميونخ» حيثُ النهاياتُ تبدأ

كان لي بها شارعٌ وبيت
تكثرُ الباصاتُ بالمحطَّة
أمامَ الباب
وتستعيرُ شاحناتُ السُّوقِ من مكاني
بعضَ الأكلِ في الأواني.
وكلَّما خرجتُ في الصَّباح
تنتظرُ الجريدة
في لغتي الجديدة
تأخذُ الماءَ من عُنواني
اسم كتابي الثاني
في «ميونخ» القديمة
كنيسةُ المَيدَان
تُشرِفُ في السَّاحة
حيثُ اشتريتُ عُكَّازَةَ الخشب
محفورةً برقَّةِ الفنَّانِ والعجب.
وفي طريقِ السُّوقِ والأخلاط
والكُتُبِ المَرصُوفة
تنفَّسَ الحَجَر،

تنفَّسَ الذَّهَب
وانتعشتْ طبيعةُ الغاباتِ والشَّجَر
يأخذُني العُكَّاز
في شارعِ التّرامِ والأحلام
بدأتُ في «ميونخ»
حيثُ انتهتِ الحكاية
تركتُ فيها لحظةَ النِّهاية.

إذا سألوكَ

قُلْ لهم
يطلعُ النَّرجسُ في مُنتصفِ الشَّهرِ من كلِّ صيفٍ
في سُطُوحِ الجبال
بزُرْقَتِهِ الفاتِرَة
يَمسحُ الحُزنَ عن خَدِّ الحجَارة.
وإن سألُوا عن العِشقِ عندَ المُصابين بالصَّمت
قُلْ لهم،
يَستمرُّون في صَمتِهِم فيُورِقُ الشَّجَرُ
مُستسلِماً للنَّهار
ذاهباً إلى المَسَاء
وينتعشُ الصَّامتُون ببعضِ القُبَل
كأنَّ الأمل.
إذا سألوكَ عن امرأةٍ تُسحِرُ العابرين
كلَّما يمَّمُوا،
قُلْ لهم
هذه جَنَّةُ اللهِ تَمتحنُ المؤمنين
ولن تفهَمُوا.

الوَطَن

ليستْ أكثرَ من جزيرةٍ صغيرة
هنا كابوسُها
كنتُ هناك
أو كنتُ في الأقاصِي البعيدة
أراها
دائماً أراها
يُراوِدُني الشُّعُورُ الخَفِيّ
أنَّها مَوجُودةٌ
بقَدْر ما يتجلَّى الحُلْمُ فيها
تلك الجزيرةُ الأصغرُ في المجرَّة
صنيعةُ أحلامي.

الشُّجيرة

أشعلَتِ انتباهَ الغابة
وتوزّعتْ في خيمةِ الأغصان
تُرتِّلُ آيةً من دفاترِ القُرصَان
ذَريعة
تقتسمُ السَّنَاجبُ حصَّتَها
بين الماءِ والمَعنَى
وسوف تَعرِفُ الأوراق
تلك الشُّجَيرَةَ تعزفُ الأغاني
كلَّ ما في جَعْبَةِ الفلّاحِ من طين
ومن جَآذِرَ، في صيفِ الحقول
للآتي من الثّلجِ الكثيف
وكلّما سمعتْ صهيلَ الرِّيح
ظَنّتْ أنَّ خيلاً في حصانِ الحقل
يَصحُو،
وتُرابَ الأرضِ يرتجُّ،
اشتهتْ،
وتهيّأتْ تحتَ الشُّجيرة
كيف تَنزُو،

عندما يأتي حصانُ الحقلِ بالتِّبنِ الخفيف
الشُّجيرةُ انتبهتْ
ولكنَّ العصافيرَ، التي بَسَطَتْ وُرَيقَاتِ الغُصُون
وتمرَّغتْ في خُضرَةِ الملكوت،
تاهتْ في ضَيَاعِ الحقل،
كيف امتدَّ صوتُ النَّاي
بين العَزفِ والمِعزَف؟
مَنْ يعرفْ؟

تعانقا

فقالت له
ويداهُ تنشغلان بالفَوضى وترتيبِ الطَّبيعة
فعليهِ تعديلُ التِّلال
وعليه تحريكُ الجبال
لكي تمرَّ الرِّيحُ فوقَ البحر
تنسابُ القَوَاربُ غارقاتٍ
يَسحبُ الصيَّادُ أسماكاً مُدرَّبةً
على نومِ المياه.

قالت له:
كُنْ مستريحاً فوقَ سطحِ الماء،
هنا جَسَدٌ في انتظارك،
فاجعلْ من سفينتِكَ انتقالاً طيِّعاً عندَ الطَّبيعة،
ثمَّ لا تَغفَلْ عن الفَوضَى التي جَرَّتْ مزارعَنا
وحَاصَرَتْ أخبارَنا بطبيعةِ الفَوضَى
وقالتْ للمُسافر،
وهو يَميلُ بالشِّباكِ لكي يَصيدَ الماء:
دَعْ للتَّذكُّر زُعنفاً يَسعَى على عُكَّازِهِ ليصدَّ موجاً

لا تنشغلْ عمَّا تُؤلِّفُهُ الطَّبيعةُ في كتابِ النَّاس،
ما الفَوضَى سوى عُنوانِنا
ليضيعَ عنَّا ما سيكتبُهُ الخليجُ من الدَّلائل،
ما ستحملُهُ الرَّسائلُ من أنينِ البحر،
قالت له:
ويداهُ تنشغلان بالمَعنَى،
وتنثلجُ التَّفاصيلُ العميقةُ في كُهُوفِ الصَّدْر،
وهي تقول،
ولو يُصغِي لها:
«هل كانتِ الفَوضَى قصيدتَكَ الجديدة؟»
كان يَستثنِي التِّلال
ويرسمُ في الجبالِ تنفُّسَ الوادي
كما يتهوَّرُ الصَّقرُ الصَّغيرُ على الهَوَاء.
قالت:
«بَكَتْ الفُصُولُ على الطَّبيعةِ وهي تنهارُ احتفاءً
بالزَّوارقِ غَارقاتٍ».
سوف تَبقَى في الطَّبيعةِ زهرةُ الفَوضَى،
وتَبقَى حجَّةَ المَوتَى على الأحياء.

مزاعمُ الغابة

تلك هي الألوانُ العابثة
خفيفةُ الحركة
صادقةُ المَكر
تَسْبقُ الخريفَ،
تُزيِّنُ الفضاءَ له
بالسجَّاد المزخرفِ
فيفقدُ الشَّجرُ موهبةَ الاتِّزان
وتبدأُ الأوراقُ بالتَّقمُّص
في العَبَثِ والمُبَاح.
وفي الصَّباح
كَدسةُ أوراقٍ تصدُّ الباب
وتُطلِقُ ضوءاً ناحِلاً من النَّافذة
وتبدأُ الغَابَةُ في المَزاعِم.

أيُّها المُطمئنّ

يَصُحُّ لكَ ليلُ القلق
فالهُدُوءُ الذي يُوقِظُ الفِتَنَ
يَستثيرُ الخُرُوجَ في العَتَمَة،
يَفقدُ النَّائمُ حكمتَه،
ويَستعيدُ السَّاهرون ذكرياتِهم عن المدينة
وهي تحبسُ القرى
فلا يعودُ النَّبيذُ يكفي
وليس في ممرَّاتِ الغَيم
قنديلٌ يُؤنِسُ قَصْفَ الحانة
قَلَقٌ يحرسُ القُرى بفهارسَ مَنسيَّة
والخيالاتُ تَسبقُ الخُطَى
وإذا صَحَّ لكَ ليلٌ ماجنٌ
ستصدُّ الثَّعالبَ الصَّهباء
وهي تتبعُ خيطَ الشِّواء
لئلَّا يثقَ السَّاهرون
في حكايةِ اللَّحمِ النِّيْءِ مع الثَّعالب
فالحيوانُ لا يُصدِّقُ حكاياتِنا عنه.

النِّهاية

بلا مَعنَى،
انتهيْنا في يَدٍ وزُجاجَتَيْنْ
وطائرٍ تاهَ البريدُ به.
رسائلُ أُخوةٍ يتكاسرُون على الطَّوابع
كي تضيعَ رسائلُ الأسرى
مُكدَّسةً أمامَ الماء
عَطشَى،
وشبهُ يدٍ مضمَّخةٍ بعطرِ الغائبين
رسائلُ أخوةٍ يبكون في لغةٍ
بلا مَعنَى،
انتهيْنا، أو نسيْنا الشَّمس
والرِّيحُ التي انكسرتْ على أسوارِنا
تاهتْ سُدىً
أحلى رسائِلِنا سُدىً ضاعتْ
بلا مَعنَى
تحاجزْنا على أجسادِنا
وبكَى لنا شَجَرٌ
وضاعَ الزَّيزفُون بنا

فصرْنا بعضَ أخطاءٍ مُلفَّقةٍ
وكدْنا أن نموت،
وربَّما مِتْنا.

لا تَغفَلْ

وإذا نسيتَ
سيُذكِّرُكَ الطَّريقُ
وخُطاكَ التّسعون المَنسيَّةُ
نحوَ حجارةِ البابِ الذي ينساك
يُذكِّرُكَ الرَّمادُ قُبيلَ تنفُّسِ الوردة
ويحترقُ انتشاءً بالحياة
حين تموت
تُذكِّرُكَ البُيُوتُ الفاقداتُ نساءَها
وتنفُّسُ اللَّيلِ الذي دَلَّ الهواءُ عليك
إذا نسيتَ
انتبهْ
تذكَّرْ وانتظرْ.
يأتي إليكَ طريقُكَ المَنسيّ
يُذكِّرُك،
انتظرْ.
تسعون، ليست جَمَّةً.
تسعى خُطَاكَ
ووردةُ النِّيرانِ سوف تموت

كالفِينِيق
سوف يُذكِّرُكَ الرمادُ
والجَمرُ من تحتِ الرَّماد
سينتشِي مثلَ الحياة
إذا نسيتَ
إذا خَطَوتَ إلى سريرِ الأرض
تذكَّرْ وانتظرْ.

فجأةً

سَكَتَ الغيمُ عنِّي
بعدما كان يهمي على ريشةِ الشِّعْر
تكلَّمَ في سرِّهِ ناهراً رغبتِي في القميصِ الشَّفيف
الذي يفضحُ الفاكهة
في مُنحنياتِ الجسد
غيمةٌ،
تَشِفُّ عن الخَتْمِ والفاتحة
فكَّرْتُ
حتَّى تسنَّى لشمسِ الظَّهيرةِ أن تسألَ الشَّمع
أو تستعيرَ اللُّغةَ الرَّاجحة
غارقٌ في الطَّريقِ إلى الله
والشِّعْرُ يسكنُ في غَيمةٍ خاسرة
في اللُّغاتِ الحميمة
مثلَ الذي يرسمُ أخطاءَهُ في الصَّباح
ويخسرُ عندَ الظَّهيرة
ويكسبُ في أُمسيَّةٍ رابحة.
بيننا أيُّها الغيم
صمتُ اللُّجُوءِ تجاهَ الإشارة

نحوَ البُحَيرات
نحوَ الذين استراحُوا على الرَّمل
انتظاراً لما يُشبهُ سُكَّرةً مالحة.

علينا

يأتي زمانٌ علينا،

علينا،

فيكسرُ في رُوحِنا رُمْحَه

مستجيراً من النَّار بالنَّار

والنَّارُ، كالوقت،

تأتي علينا

ويستوحشُ فينا الأليفُ

نستأنسُ النَّابَ

يأتي إلينا من الغاب

من عَتَمَاتِ المعابد

ممَّا تيمَّمَ به السَّابقون

من الرَّملِ والرَّمز

يأتي ويذهب

ينتابُنا ما يسبقُ الموت

إلَّا قليلاً

وما يَلحقُ الموت

إلَّا قليلاً

كتابٌ يُعاقِبُنا على سَهْوِنا.

يُحاسبُنا
مثلما يشربُ الماءُ رَملاً
كتابٌ يكافِحُنا
بما يستقيمُ مع الميتين
فيأتي علينا زمانٌ
يُشبهُ الموت
كما يُشبهُ النَّومُ أحلامَه
بالرُّمحِ في رُوحِنا
يَكسرُ فينا حياةً ستُشبهُ أيَّامَنا.

الشَّاعر

(إلى محمود درويش بلا مناسبة)

يَدخلُ قصيدتَهُ بالخطوةِ العسكريَّة
يُؤدِّي التَّحيَّة
يُرخِي لجامَ الحصان
ويتركُه
يَجُوسُ السُّهُولَ بحُرِّيَّةِ الرِّيح
يكتبُ سطراً
ويَستأنسُ الشِّعْرُ حقلاً من "الخَببِ" المستريح
مثلَ خيلٍ سيتركُ حرباً
ويجري إلى معركةٍ في القتالِ الجريح.

وفي الخطوةِ العسكريَّة
ستأتي البقيَّةُ في النَّصّ
يأتي الحصانُ التَّرِيكُ
لجنَّة إسطبلِه
حيثُ يَسوسُ الخُيُولَ كمانٌ كَسيرُ الجناح

وتَخضَلُّ قَلَنْسُوَةُ البَيرقِ الفَظِّ
لِفَرْطِ القتال
غيرَ أن المقاتلَ لا يُحسِنُ الفَرَّ
قَتلى كثيرون أدَّوا التَّحيَّة
ثمَّ ماتُوا
إثرَ خُطوتِهِ العسكريَّة
محمودُ أسرعُ من وقتِهِ
محمودُ يرتاحُ في موتِهِ

لا يأمنُ العسكرَ
ولا يستجيبُ لقُنْفُذَةِ المَقْعَدِ الوطنيّ
لا يشغلُهُ القَتلُ عن الشَّكل
بين يدَيْهِ وأقلامُهُ المالحة
لغةٌ صَالحَة
لتحويلِ "آب" إلى مَأتَمِ الشُّعراء
لئلاَّ يُباهون بالنَّعي
محمودُ ماتَ
وتسعون محمود ماتوا
غير أنَّ القصيدةَ باقية
والعصافيرَ باقية
والخُيُولَ ستبقى
لتأتيَ الهُوَيْنَا

"خَبَبٌ" على مَهلِها
ليستْ على عَجَلٍ
ستأتي البُحورُ الدَّفينة
على مَهلِها
مثلَ "المُهَلْهِل"
تغزَّلَ بالشِّعْر في جَعْلَكَاتِ القميص
محمود في خُطوتِهِ العسكريَّة
سيهذي حتَّى تصيرَ القصيدة
مَقْعَدَهُ في جهنَّم.
محمود نارٌ له
ونارٌ عليه
جَمرتُهُ الوطنيَّة
عَصيَّة.
تذكَّرتُهُ يومَ "افتكرَهُ الله"
حين باغتَنِي الصَّديقُ المغربيُّ المهاجر:
(محمود مات)
فَمَنْ يُنقِذُ الموتَ منَّا؟!

كما الأمسِ والبارحة

نجوتُ من المذبحة
خطأٌ في المسافة
بين انتحارِ الفراشةِ والأسفِ المَوسِميّ
المُؤجَّل،
فَشَلُ الموتِ في قصَّةٍ ناجحة.
تأرجحتُ
بين احتمالاتِ موتيَ بالفرحِ المرِّ،
بين الصَّلاةِ المُقامةِ في بهوِ خوفي والأضرحة،
خطأُ الطَّيرِ في المشرحة.

لم أمتْ،
جاءت إليَّ الضِّباعُ،
انحنيتُ قليلاً على زهرةِ الأرض
أمحو غُباراً،
فمرَّ الحديدُ على كَتِفي خائفاً،
جَمرةُ الحُبِّ فوقي
وعَنْدَلةُ الطَّيرِ تُعلنُ عن ثلجها
بالرُّؤى الرَّاعفة.

جُثثٌ خائفة
تَحرسُ لي خُطواتي،
وتَحمي نَجَاتِي من الموت،
أنجو،

نجاةً تُؤخِّرُ زَحْفَ الغيابِ إلى النَّاس

تَسمُو بما يستحيلُ انتقاماً
وتفتكُ بالغافلين
الذين يُؤدُّون طَقسَ الجنازة
خَتْمٌ كفيفٌ،
وترتيلةٌ تُشبهُ الفاتحة.

مسَّنِي الرَّعدُ
وانتابَنِي شَغَفُ المُوشِكِين على البرق
نَزْفٌ يُصوِّرُ لي النَّوحَ والنَّائحة.

سيُنقذُني مستحيلُ النَّجاةِ من الموت،
هل كنتُ مستقبلَ الأمسِ والبارحة؟

بدأتُ أو انتهيتُ

1

منذ أن سكنتُ،
لم أعد أعرفُ الوجهةَ والمكان،
منذ الذين آمنوا،
جدَّفْتُ أو كفرْتُ،
أو نأيْتُ.
منذ كنتُ قد بدأتُ،
وانتهيتْ.

2

صارَتِ الشَّمسُ كالصَّوْلَجَان،
تريدُ أن تكرزَ قنديلَها للزَّمان.
الشَّمسُ في أُرجُوحةِ الوقتِ ضبابٌ غامرٌ
واللَّيلُ عُنفوان.
صارَ لها من ذَهَبٍ اسمٌ وكَهْرَمَان،
وكيف كانْ،
الشَّمسُ لا تَعرفُ بيتَ أُختِها

ولا يعودُ الظِّلُّ ميزانَ المدى
وليس للأخطاءِ طَيْلَسَان.

3

زُرْقتُهُ مثلُه
مثلُ عينَيْن مرسومَتَيْن على الماء
مثلُ السَّماء
تمثَّلتُهُ،
مثله.

4

قُلْ لهم
إنَّهم أوَّلُ الحالمينَ بتُفَّاحةٍ
واستعنْ
بانتهاءِ القَصَبْ
وابعثْ بريداً من الأبيضِ المُشتَهَى
خَلفَهُمْ
علَّهمْ
يكتبون لنا الحُبَّ في شَهوة
مثلُهم كالعجب.

5

طابَ له أن يُسافر،

طابَ له

أن يُؤلِّفَ ما يَستدلُّ به

فلهُ ما يَدلُّ عليه

وما ينتهي في التآويلِ مثلَ الغياب

لهُ أن يُصابَ

بجنَّةِ حُلْمٍ تطيرُ إليه

كأنَّ الضَّباب

يُضلِّلُ أخبارَهُ في الكتاب.

6

السَّيِّداتُ الرَّشيقات

انتظرنَ بريدَ الماءِ طويلاً

فخرجْنَ من دُوْرِهِنّ

مَعصُوفاتٍ بالفَقْد

وحاسراتٍ من الخُضْرة

حتّى أصابهُنَّ الثُّكْلُ والرَّسائلُ اليابسة

فوضعْنَ أعجازهُنَّ المَغدُورةَ على قارعةِ العَطَش

ينتابهُنَّ النَّحيبُ في القَتلى.

7

لكم الماءُ الذي يحتكمُ
كي ينالَ الصَّمتَ أو يحتدمُ
لكم في دفترِ الأخبارِ وردٌ ودمُ
وتفاصيلُ كلامٍ
ولسانٌ وفمُ
لكمُ أن تستردُّوا عَسَلاً في الوَهْم
مخلوطاً، كانَّ العَلْقَمُ.

ما ذا يعني الموت؟

1

لستِ من اليوم. والغدُ يغرقُ في حوضِكِ السَّديم. سَديمٌ يتخلَّقُ عبرَهُ غُمُوضُ المُستقبلِ. لا تعرفُكِ الأبجديَّة، ولا يُدرِكُ حُدُودَكِ البصرُ ولا البَصيرَة. حتَّى إذا ما اصطفَّتِ الحُشُودُ في حَوشِكِ، تيسَّرتِ أسرارُ الغَيمِ في ندفٍ ينزفُ بين وَركَيْكِ، يتفصَّدُ الملحُ في جراحِكِ. ويسمعُ النَّاسُ أنينَكِ القَتَّال. حتَّى إذا ما انْحَشَرَ الوَحشُ تحتَ شُرفتِكِ، تسنَّى للشَّمسِ إشراقٌ يغمرُ الخَلْقَ. وإذا ما التفتَ اللهُ نحوَكِ، يغسلُ بكِ الخليقة.

2

في مُفترقِ القَتلى، يتزوَّجُ المَوتى مَوتَاهُم، ويَعيشُون قليلاً. يَزدَردُ الشُّهداءُ قضيَّتَهم، لكأنَّ النَّوم ضريبتَهُم عندَ الباب. والنَّومُ كتابٌ يقرؤُه القَتلَى قبلَ الموت، ويعتقدُ الأحياءُ بأنَّ اللهَ سيغفرُ بعضَ الإثم، وينساهُم، ويُؤثِّثُ بهوَ الفِردوسِ بهم.

لكأنَّ الموتى في الأعراسِ يعيشون قليلاً كي ينتقلُوا، وإذا سألُوا عن بابِ الجنَّةِ جاءتْ نارُ القَتلَى بجوابٍ مَنقُوصٍ، إذا كَتَبَ البعضُ نُصُوصَ الغَيمِ، سيَهطُلُ ماءُ الذِّكرى في ريشِ المَعنَى، سنفهمُ كيف انتظرَ المُنتظِرُون عُيُونَ السَّيْلِ قُبيلَ اللَّيلِ. وكان المَوتَى من أفراسِ الخيلِ

يُعطُون زيارتَهُم بعضَ إشاراتٍ، يتمنَّى القَتلَى مَوتاً أحلى مِن زئبقِ مرآةِ العُرس.

3

كأنَّ الموتى

مَوتَى

ينتظرُون مساءَ الجنَّةِ والنَّار

كأنَّ الغارِ يُكلِّلُ هَامَتَهُم

ما أجملَهُم،

مَوتَى يَحيَونَ كثيراً في الأحياء

والريشُ الطَّائشُ يَختبرُ الدَّربَ

هل نعرفُ ماذا يَعنِي دَرسُ الفِردَوس؟

لا نَعرفُ غيرَ عَروسِ الزَّعترِ والزَّيت،

وعينَيْكِ.

وجهُها

شاخصٌ
والتَّفاصيلُ تنسابُ مثلَ الأصابعِ في العزف
خبَّأتُها في ضميرِ القناديل
أوصيتُ قلبِي بها
كي يموتَ قليلاً.

في هذه الأرض
نموتُ قبلَ الممات
ونمسحُ ريشَ الجناحِ الكَسير
على وجهِها
علَّها تُدرِكُ في نظرِ الثَّوَاكِل
ملامحَ أطفالِهَا الميتين
تُطاردُهُم كطُيُورِ الجحيم
ألقتْ عليهِم مَلامَحها
أطفالِهَا الميتين
على وَتَرٍ يعزفُون لنا لحنَهُم
ونحنُ السَّبَايَا
عَرَايا، بلا أقنعة

فلا سعةُ الأرضِ تنتابُنا
وليسَ لنا من هذهِ الأرضِ إلَّا السُّجُود
أطفالُها في القَنَاني
مثلُ القناديلِ مَوءُودَة
نحنُ أطفالها
كالعَرَايَا
بقايا الحُرُوبِ الطَّويلة
حياةٌ تضيقُ بنا
وليس لنا في سعةِ الأرض
إلَّا البقايا العليلة.

من أين؟

جاءت لكَ هذه الذِّكرى؟
وكيف تعرَّف الحُوذِيُّ بالباقي من رُكامِ الدار؟
ما الماءُ الموازي للعَطَش
الذي يُبلِّلُ حَنْجَرَتَك؟
بكى لكَ الأوجُ
وبكى عليك
وتلك ذِكرياتٌ تحيطُ بك
من الحَنْجَرَةِ حتَّى الإحليل
تقودُ خُطواتِكَ المتُعَبَة
وتشحذُ كَتِفَيْكَ بالنَّياشِين
غير أنَّ هذا كلَّه ليسَ بشيء،
لا يُؤجِّلُ نحيبَك
ولا يجلبُ لكَ المغفرة
تجيءُ لكَ من حيثُ لا تُدرِك
ولا تعي
ولا تتعلَّم.

الموتُ لا يُعلِّم

الدَّرسُ الأخيرُ في الحياة
مثلُ جرحِ القلب.

ترى إلى نزيفِ دمِك
دون أن تَقوَى على تفادِيه.

من أين؟
إلى أين؟

بيتي صغير

وانهماكي نحوَه
وَطَنٌ وأجيالٌ وشِبْهُ كتيبةٍ
من أصدقاءِ الزَّهْر
لا في غرفَتِي أُنشودَةٌ
ولا في البَهْوِ مِن أغانِي النَّوم
ما يكفي لأحلامِي
وليس لشُرفَتِي شَجَرٌ يُطِلُّ
وليس ظِلُّ الماءِ يَحمينِي مِن الرُّؤيا
لبيتِي بابُهُ الكَونيّ
بيتي جنَّةُ الأحياء
إنْ ماتُوا
ونارُ المُقبِلِين على حياة
كلُّها خوفٌ
لها وَطَنُ
لبيتِي نكهةُ المَفقودِ والشَّجَنُ
وبيتِي شَهقةٌ تَسعَى لما يَبقَى
من الأحلامِ في نومي
وفي سَكَنِي.

بيتٌ صغيرٌ
سوف يَضيق
بالباقِي من الرُّؤيا
كما أبكي ويَسمعُني.

افعلِي ما تشائين

جنَّتِي في يدَيْك
وبينِي وبينَكِ ما يكتبُ اللهُ لي
فافعلي ما تشائين لي
إنني مُسْلِمُ القلبِ والرُّوح
والنَّصِّ والشَّخص
كي تكتبي ما تشائين لي
أرسمُ في لونِكِ الشِّعْرَ كالمُخْمَل
فافعلِي ما تَشائِين لي
مَليكَةَ قلبي
ها أنا راكعٌ في دِفْءِ محرابِكِ الهَاطِل
شاهقٌ بُرجُكِ الذَّهبيُّ البعيد
فلا تنزلِي
بين عينَيْكِ رُوحي
بين أهدابِ عينَيْكِ قلبي
في التَّضرُّع
في التَّهدُّج
في الذي يجعلُ الدَّمَ بابَ الجحيم
في الصَّغيرِ الحميمِ الذي يَسعُ النَّاسَ حُبّاً

ويبخلُ عنّي ويختالُ لي
في الذي تركَ الخَلْقَ في الكون
واختارَني
لكِ ما تبقّى من العُمُر
شِعْراً ونَثْراً
وما ينتمي للملائكةِ المُولَعين
لكِ كلُّ ما تفعلين
افعلِي ما تشائين لي
فلستُ سوى شاعرٍ
جالسٍ تحتَ نسيانِكِ الماَثِل،
أنا وردةُ الله
في كأسِكِ الأولى.

في خفَّةِ الورقِ الطَّائش

بين الأرضِ والأغصان
هل كنتُ حرفاً ضَيَّعَ العنوان
في صُفْرَةٍ تُزَرِّقُ مِن بردِ الخريف
تسألُني فراشةٌ
تحتلُّني أُغنيَّةٌ
وبيتي جنَّةٌ مهجورةٌ بدوني
تُثيرُ لي شُجُوني
بين حُدُودِ الشَّمسِ والسَّماء
والألوان.
شِعْري لها مكان
أبعدُ من الوقت
أدنى من الزَّمان
أُغنيَّةٌ لها مُوسيقَى القلبِ والألحان
وُريقةٌ في شجرِ الحياة
تُزَرِّقُ أو تُخَضِّر
حسب الفصلِ والدِّماء
تبحثُ عن عُنوان.

سألتُكَ

هل فتحتَ كتابَكَ لتقرأ أم تكتب؟
هذه هي المسألة.

نُصُوصُهُم في جاهزيَّةِ السِّلاح،
وأحلامُكَ قيدَ الخطّ
فافتحْ كتابَك.
ليست المسألةُ في الحياة،
المشكلةُ في النَّصّ
اكتبْ نُصُوصَكَ واحذرْ لُصُوصَك
ولا تُؤجِّلْ خُطوتَكَ عن الطَّريق.
بَردُ المحطَّاتِ لا يَرحمُك
ووحشةُ الانتظارِ موتٌ بمثابةِ القَتْل.
دَعْ لحبرِكَ حُرِّيَّةَ الماءِ وصلابةَ الثَّلج
واكتبْ ذرائعَكَ شامخةً في هواءِ الأجنحة.
اكتبْ ولا تنظُرْ
ولا تَنتظِرْ.

تعالَ نُؤَجِّلِ العملَ

فنجعلهُ في انتظار
انتظرْنا طويلاً
مضتِ السَّنوات علينا
ونحنُ نسقطُ في كلِّ مرَّةٍ من قُفَّةِ الحركة
قيلَ ستأتي البَرَكَةُ من الله،
انتظرُوا،
سوف تأتي.

مضى العُمُرُ بنا
كنَّا نُصدِّقُهُم
فلماذا نُسارع؟
لماذا نتسارعُ الآن نحوَ العملِ القديم؟
تعالَوا نُؤجِّلهُ
ونبحث عن جديدِ العمل
لعلَّ الأمل.

مُوسيقَاي

أشياءُ القصيدةِ وهي تَنأى عن مَكامِنِهَا القديمة
أخطاءُ العَلَاقاتِ التي تنشأُ بين الحرفِ والكلمات
مُوسيقَاي كالخفقات
لا أدري،
هل المعنى أتى في نُزهةِ الإيقاع
أم أنَّ الكتابةَ تَرتَقِي بالنَّصِّ،
والإيقاعَ يصعدُ مثلَ النَّارِ في التنُّور؟
لا أدري،
يدي في مايسترو الكلمات
إذا ماتَ المُؤلِّفُ ينشأُ المَكتُوب
ممَّا يحلمُ الشَّاعر
ولا أدري،
هل المنظور يستعصي على الناظر؟
مُوسيقَاي،
جنَّتي وجحيمُ أشيائِي تُؤثِّثُ للقصيدةِ نزهةً
لستُ انبثاقاً للكلام
أنا الكتابة،
أنتمي للجُرحِ يُخْدِقُ بالطَّريدة

ثمَّ يهوي نحوَها
مُوسيقَاي تأخذُ مَقْعَداً في الغيم
لا أدري
لماذا ينبغي أن يسردَ الأُرْغُنُ قصَّتَه؟
لماذا لا يُناسبُني الكمانُ
وأن أُحبَّ النَّاي؟
مُوسيقَاي
سيِّدةُ الكتابةِ وهي تجترحُ الخُطُوط
جُرحُها تَخْثُ الكلام
لكي يظلَّ النَّصُّ مُوسيقَى.

أجَّلتُ مَوتِي كثيراً

لأُكملَ تلكَ القصيدة
غيرَ أنَّ القصيدة
أطولُ ممَّا حَسبْتُ
وكنتُ أظنُّ أنها تنتهي في الصَّباح
فأين الصَّباح؟
ما مِن صَبَاحٍ هنا.

أجَّلْتُ مَوتي هنا
ليتَهُ أدركَني
عندما كنتُ هناك.

صَديقِي المصريّ

(إلى الصَّديقِ سيِّدِ القلبِ محمود)

يَعرفُ أنني غادرتُ بيتي كي أزورَ «القاهرة»
يَعرفُ ما الذي يَعنيهِ تَرْكُ البيتِ عندي
ما الذي يَعنِي انتظارُ حقيبتِي في الحوش
بعد المَقْعَدِ الرَّمزيِّ في غيمِ السَّفَر
بين الطَّوابيرِ الطَّويلةِ في انتظارِ الطَّائرة؟

يا صديقِي
فتنةٌ أنكَ في «أسوان»
في عينِ الرَّقيبِ السَّاهرة
دَعْ ليَ الآن بكاءَ النِّيلِ عندَ الجسر
أخبِرْني عن النَّاس المُحالِين إلى المجهول
قُلْ ماذا أقول
هل بيتي بعيدٌ عنك
عن أهرامِكَ الكبرى معك
لأبكيَ النيل،
أستجدي بطمْي الوقت

لكي أُدركَ ما فاتَ على قَلبِي مِن الشَّكْوى؟
وقُلْ لي ما أقولُ الآن،
هل يسمعُني النَّاسُ إذا غنَّيتُ؟
هل تُشبهُني مصرُ الجديدة
عندما أبحثُ في مصرَ البلد،
عن سندويشِ الكبدةِ المشهور؟
هل يحرزُ تَرْكُ البيتِ، والأسفار،
والغربةُ والمنفى
قياساً للطريقِ المعتمِ المهجور
«باب اللُّوق» و«الموسكي»؟
لماذا ينبغي أن أشتكيَ للنِّيل والأرغول
أبكي في جُسُورِ النهر،
علَّ الماءَ يغسلُني
وينساني رسولُ الله في بيتِ الحُسَيْنْ؟
سيِّدي محمود
آتيكَ في «أسوان» كي تأخذَني ضيفاً
يزور القاهرة!

الباب

بابي، صديقٌ جاءَني
مثلَما جاءَ البكاءُ يُزخرفُ الأحلام
بكى عليَّ لفَرْطِ فَقْدِي
ليتَني حرفٌ يَفيضُ على الكلام
كنتُ مأخوذاً وكان السِّحْرُ لي
وكان بين دَفَاترِي قَلَمٌ
بَرَاهُ الوَجْدُ
كنتُ ذريعةً للعَيْنْ
تبكي وحدَها
ولها الكلام
وكنتُ وحدِي
دَفترِي عندِي
وبابِي زاخرٌ بالأصدقاء
قلبِي ومَحْبَرَتِي ورِيشٌ في الجناح
وأكتبُ في صَبَاحِ النَّاس
أنَّ الشَّمسَ عندِي
دفترٌ وبُكاءُ أشعاري
ولي أُنشودةٌ، ولها السَّلام.

"آب بيروت 2020"

في الرَّابعِ من آب الماضي،
بَدَأَ الماضي.

سبعُون زُجَاجَاً

مِن زَعفَرَانِ الحقل
من عِنَبٍ وتُفَّاحٍ وبعضِ زعانفِ الأشجار
سبعُون انتحاراً رائقاً
وثلاثُ زهراتٍ جميلاتِ المُحَيَّا
يكتفينَ بلثمةٍ في الكأس
كي يندَاحَ ماءٌ أزرقُ الأوداج
في خَدَّيْن مَسفُوعَيْن
مثلَ الشَّمسِ قبلَ النَّاس.

كلُّ زُجاجةٍ في الغرفةِ السرِّيَّة
تحتَ أرضِ الله
غرفةٌ أُسْرِي إليها في اللَّيل
أكتبُ ما يجولُ بخاطري
مِن هَلْوَسَاتٍ
وارتعاشٍ خائفٍ
وتلبُّث الأعمى
زُجَاجَاتٍ رشيقاتٍ
وتمنحُ سُلطةً في الرَّأس

كلُّ زُجاجةٍ شرطٌ بأن أبكيَ لها
في ثالثِ الكاسات
وهي ثلاثةٌ قُصوى
وسبعُون انتظاراً في التُّراب
لكأنَّ بابَ الأرضِ مَفتوحٌ على درجاتِها
ولسوفَ تبدأُ سهرَتي عندَ انطلاقِ الفجر
كأسٌ وانبثاقُ قصيدةٍ
وتماثلُ الجَسَدِ الغريب
في آخرِ اللَّيلِ الطَّويل
وزُجاجةٌ أخرى تذوبُ لفَرْطِ تدليلي لها
قلبِي لها
ولها انعتاقُ الرُّوحِ في الجَسَدِ العليل
سهرتِي لا تنتهي
وزُجاجَتِي الأولى تظلُّ وحيدة
رُوحِي لها
كي تبدأ السَّهرَة.

كلَّما مِتُّ

انتهى عصفوريَ الدُّوريُّ من دورتِه
مِتُّ قليلاً
وتماهيتُ في عصفورةٍ أخرى
وأرخيتُ كتابي
علَّني أكتبُ للدَّفترِ أخباراً عن المستقبلِ المفقود
سوف يُصغي للبُكاءِ المرِّ
أخباري تفاصيلُ الغياب
عندَ بابِ اللَّيلِ أشجارٌ وغاباتُ انتظار
وامتحانُ الموت
لو يسهو قليلاً.

كلَّما مِتُّ
تسنَّى للضَّغينةِ ريشةُ العصفور
تمنحُ للغيابِ ذريعة
عصفورةٌ دارتْ على الأشجار
وانحازتْ لموتِ الضَّائعين
أغفو قليلاً قبلَ مَوتي
كلَّما مِتُّ

انتهَى بي طائرٌ
وسمعتُ أُغنيَّةَ المُسافر
وهو يرحلُ نحوَ موتٍ آخر.

مَحمُولاً على الأكتاف

يَنساني أحبَّائي بأقصى ما ينصُّ القلب
مِن وَلَهٍ
ويَنساني خُصُومٌ كنتُ أختصرُ السِّجالَ لهم
لئلَّا يتعبُوا قبلَ الكلام
كنَّا كلاماً زائداً عن حاجةِ المَعنَى
وكنَّا وحدَنا
جيلٌ يُحوِّم حولَنا مثلَ الغُراب
يُبشِّرُنا
بأكتافٍ ستأخذُنا
إلى سريرةِ نومِنا
يُبشِّرُنا غُرابٌ بالغُرُوب
يُبشِّرُنا بنسيانِ الأحبَّة
أصدقاءُ العُمُرِ يزدحمون في خشبٍ قديم
خشبٍ لئيم
نحوَ آخرِ غُرفةٍ في البيت.

ليتَ مَنْ يَنسَى سيذكرُ أنَّني حاولتُ
أن أبقَى خفيفاً

فوقَ أكتافِ الأحبَّةِ في طريقِ القبر
قد حاولتُ
ميزانٌ من الذِّكرى
سيمحو فكرةَ النِّسيان
مَنْ يَنسَى سيذكرُ أنَّني قد مِتُّ.

في غيابِك

أنتظرُ الماءَ
مطراً في غيابِك
وماءً يَحنُّ
وسَوسَنَةً في كتابِك
تعالَ لأعرفَ مَعنَى غيابِك
ودَعْ جنَّتي في سَديْمِ المسافات
بعيداً عن الاحتمالِ البعيد.

تعالَ
ففي نارِ قُربِكَ تأتِي الفراديسُ
يأتي ليَ الكأسُ يحملُ أحلى شرابِك
غيابُكَ كالامتحانِ الذي سيغلبُني
كلَّما، في سديمِ المسافات،
يهمي سَرابُك.
لا تُفسِّرُ لي عُجمةً في لسانِك
أعرفُ أسئلتَكَ وجوابَك
ولا تعتذر
إذا ما تأخَّرتَ عن موعدٍ في ظِلالِ الشَّجَر

ثمَّةَ الغابةُ في خُضْرَةٍ
في انتظارِ إيابِك
حتَّى إذا ما غِبْتَ عنِّي
كأنِّي جُنُونٌ تَمَثَّلَ في ماءِ رُوحي
وآلهةٌ ستُؤدِّي انتقاماتها
وتصنعُ منِّي أُمثُولةً في غيابِك.

خنجرٌ

ينغرسُ في خاصرَتِي
ورثتُهُ من ذلك التُّراث
أخطاءٌ كثيرةٌ أتمرَّغُ في عجينَتِها
وتمتثلُ للتُّخُومِ المنصوبةِ بين حياتِي والهَوَاء
تُخُومٌ أتهجَّى حُرُوفَها
فأعرفُ مِن ذكرياتِ أبي
أن سِهاماً مُسدَّدةً للقَصِيِّ من جَسَدِي.
حين ماتَ أبي
أوصانِي بعدمِ الإصغاءِ لتلكَ الأُغنيَّة
فيما الخنجرُ يُمعنُ مُتوغِّلاً ينالُ الأحشاء.
ماذا يُمكنُني أن أقولَ للكلامِ الكثيفِ الذي يقودُني
لا أعرف إلى أين؟
لكنني أُدركُ الوقتَ وهو يفوتُني
كيف أُقنعُ الوقتَ أن يكفَّ عن الذَّهابِ في المكان؟!
الخنجرُ وحدَهُ يفعلُ ذلك.

غيرُ المُنتظر

فمِن بين كلِّ غيرِ المقبولِ في هذه الأرض
ستقبلُني
عائداً من النِّيران
لم أعرفْ جنَّةً ولا جحيم
ناري البعيدة
لها في كلِّ جحيمٍ جنَّةٌ
وفي كلِّ جنَّةٍ جحيمٌ
لماذا تنتظرون أخطائي؟
لماذا ترون في كُتُبي صنيعَ الشَّياطين؟

وأنتَ
أيُّها المُنتظِر الوحيدُ في غياهبِ الرُّؤيا
تَراني في قاعِ الكون
فلا تُصغِي لتضرُّعاتي
وفي أُذُنكَ وَغْرُ المتزاحمينَ في الباب.

تعالَ،
نافذتِي مُشرعَة

فلا تَكترثْ بالأبواب
لكَ النَّافذةُ وما وراءَها
قُلْ إنَّها لي
فأكون.

هناك

احتمالٌ وحيدٌ
يُنشِدُ المُنشِدُون على ضفَّتَيْه
احتمالَ التَّحوُّل مِن قاتلٍ لقتيل
ذلك مَنْ يستقيلُ مِن الاحتمال
هناك انتظارٌ
سينتظرُ الذَّاهبونَ إلى حتفِهم
كي يموت،
معهُم أو لهُم،
يختلطُ الأمرُ
بين مَنْ يأتمرُون
ومَنْ يتآمَرُون لمحوِ السَّماء.

هناك،
إذا مَرَّ بالحشدِ مَنْ يرسمُ الرّكبَ في عاصفة
نفتقدُ الدَّربَ والأرصفة
فلسنا مِن الغَافِلين
ولسنا مِن العَائدِين عن الطُّرُقِ التَّالفة
غيرَ أن الضَّحايا

بقايا أثرٍ في القُرى النَّازفة.
هناك احتمالٌ يُجلِّلُ ما نَشتهِيه
وما نَحلُمُ أن يقتفيَ أثرَ الجُرحِ والجارحين
فلسنا مِن الغافِلين
نحنُ هنا
أو هناك
نُؤجِّل مَوتَ القتيل.

هنا قاتلٌ
يأمنُ حقَّ العقاب
أو هناك.

ننفي عن السِّجنِ استعاراتِه

ونُدركُ ما نراهُ من الحَرَس
ليس في جيبِنا مفاتيحُ النَّوافذ
لا يَعرفُنا جُنُودُ البيت
نَستجدِي لهم مِن يقظةِ الأوهامِ حُلْماً
نتبعُ ما نَرَى من جوقةِ الحُرَّاس
يختلطُ الجَلَاوِزَةُ الطُّغاة
بما تبقَّى مِن عجينِ اللَّيل
ننفي سجنَنا
ونُراوغُ المَعنَى
فلا «هِنْتَ»،
اتَّخِذْنِي ريشةً في جانحَيْك
في أعالي الرِّيح
أرعَى غيمةً وأموجُ في مَطَرٍ وشيك
لم أكنْ مُستعجلاً في السّجن.

في روزنامةِ الأيَّام
سِجنِي مُستعارٌ في لُغاتٍ

تستعيدُ قَصَائدِي
ويدِي أسيرةُ ما لديكَ من الأغاني.

خمسون عاماً

مِن الانتظار
تعلَّمتُ مَنْ أصدقائِي
أنَّ الذي يجلسُ مُنتظِراً
سيموتُ سريعاً.

بعدَ خمسين عاماً
كنَّا معاً نُجرِّبُ عقيدَتَنا في الكتابة
ونُرمِّمُ ما أفسدتْهُ المدارس
نُحاولُ في مُجتمعٍ، أعطبتْهُ السُّنُون،
أجلَ أن يحتفيَ بالفُنُون
نتجمَّعُ في خُفْيَةٍ،
يختلطُ فينا أنينُ البِحَار
ورائحةُ الشَّمس، والصِّبْيَةُ الراجفة
ونكتشفُ،
من خمسين عاماً،
أنَّ انتظارَ الطَّريق
ليس علاجاً، وأنَّ النَّوارس

تَعرفُ الفرقَ بين البحرِ والهَوَاءِ المُواتي،
تعلَّمتُ ما لم يُعلِّمْني أحدٌ في المَدَارس
هل كُنتُ حُرًّا بحرفي
وفي كلماتي؟

واقفٌ في باب أحلامي

ولي في مُستهَلِّ البيتِ نافذةٌ
تُطلُّ على الحديقة
ولي صديقةٌ من شُجيراتِ الطَّريق
تُؤنِسُ وَحدَتي
لكأنَّما تعدادُ أيَّامي
لما أنسَى من الماضي سيُشبِهُهَا
صديقةُ برتقالِ البيت
لا تُشبهُ سوى أشباحِها
وبريدِ أحلامِي.

واقفٌ،
ونَوافذِي خلفِي
تُرحِّبُ بالهواء
وتحجبُني عن الأخطاء
بيتِي صغيرٌ
يسألُ الكلماتِ عن مَعنَى
وعن أحلامِ مَنْ يَبقَى مِن الذِّكرى.

بيتٌ صغيرٌ
يفتحُ، للهَوَاءِ، الكونَ قدَّامي
ويسرقُني مِن الباقي،
كأنَّ طريقةَ الذِّكرى تُؤجِّج بُرجَ أيَّامي.

نجمةٌ في الجَسَد

مَنسيَّةٌ،
ويُكافِئُها على نسيانِها هُدْهُدٌ
يقولُ لها انتظِري خبراً طيِّباً في المساء
ويرفعُ في وجهِها كأسَه
ولها قَدَحُ النّخب
من نبيذِ الحُقُول،
يجعلُ النَّجمةَ الصابرة
مَنسيَّةَ الضوء
مقذوفةً في سَدِيمِ الفضاء
مُلتاعةَ القلب،
وردةً في جَسَد.

هل تذكَّرتِ ورداً ونجمة؟
وهل جاءكِ الخبرُ المُنتظَر
في بقايا السَّهَر؟
نخبُكِ، يا سيِّدةَ اللَّيلِ، يجرحُنا
مثلما نفتقدُ الضَّوءَ في ليلةٍ حُرَّةٍ

نخبُكِ ملكٌ في الكُؤُوس
شربْنا معاً،
نخبُكِ المُنتظَر
نبيذُ المسافات
مِن معاصرِ العِنَبِ المُشتَهَى
نخبُكِ سيِّدةَ اللَّيل
هُدْهُدُكِ في المساء
يقول لك
يا وردةً في الجَسَد
خُذِي "ما اتَّخَذْ"
قبلَ أن يذهبَ الوقتُ
يكونُ بعدَ فواتِ الأوان
حيثُ «لا ينفعُ الصَّوتُ بعدَ الفَوْتْ»
خُذيْه،
سيأتِي سَدِيمُ الفضاء
بما يَختفِي في المجرَّات
مِن كوكبٍ ونُجُوم
يجيئكِ وُجُومُ النِّهايات كي تَبدئِي
أيُّها الجَسَدُ الفَذّ
يا بهجةَ اللَّيل
هاتِ،
أعطنِي وَسَناً لأقوى به على حُلْمِ

يستعيدُ الأبد.
لا ليلٌ يكفِيْه
لا نومٌ يَكفِيْه
ولا نجمةٌ في الجَسَد.

الفراشةُ أكبرُ مِن النَّار

قالت، ولم ينتبهْ أحدٌ لأشجارِها
الباسقاتِ على السَّطح
قالت لهم، إنَّها أكبرُ مِن نارِهِم
ولمَّا اشتعلَ البيت
حَامَتْ على شُرفاتِ السَّمَاء
فراشتُنا تستزيدُ مِن الضَّوء
مِن نارِ بيتِ الحديقة
وهي، في الفراشاتِ، أُسطورة
لا تمسُّ لها النَّارُ أجنحةً وحفيفاً
رُبَّ جُرحٍ طفيفٍ سيأخذُ ألوانَها
وينشرُها في الدَّفاتر
رايةً للمسافر
فراشةُ بيتي
خضراءُ فوقَ زيتي
فراشةُ صوتي
لها النَّارُ أُرجُوحةٌ
تحفُّ على رقصةِ النَّار

ترفُّ كما وردةٍ في النَّهار
فراشةُ قلبي
وتَعرفُ حُبِّي.

فِي غيمةٍ مِن الغُبار

أمشي
وفوقِي ثمانِ طبقاتِ من اللَّيلِ الكثيف
حيثُ لا أرى ما يَنبغِي أن أراه
قدمَان ترتعشانِ في الرَّملِ والحَصَى
بين يَدَيَّ وبين العَصَى.
هواءٌ أسود
لا أُسمِّي حياتي
ولا أُدرِكُ الوصفَ
غيبوبَتي فوقَ بئرٍ عميق
أُجدِّفُ
لا أُحْسِنُ الماء
بينِي وبين الغُبار حبلُ الخلاص
ولِي في خلاصٍ من الغيم
أُرجُوحةٌ تنتمي للهَوَاء
لي كمانٌ يُغنِّي
ولي ريشةُ الطُّيُور
لعزفٍ على الاحتمالات،
حيثُ الرَّصاصُ سيَعرفُ أهدافَه

غيرَ أنَّ الغُبارَ يَسدُّ عليهِ الطَّريق
فبينِي وبينَ الغُبارِ أُرجُوحة
ريشٌ وسُنْبُلَةٌ وغِيَاب.

على غَيبوبةِ الغيم
في مُتنزَّهَات الطُّيُور
عند انهمارِ المطر،
كلُّ شيءٍ يقودُ إلى التَّهْلُكَة
ولي لُغةُ النَّومِ والصَّعْلَكَة.

جاءَ المُهرِّج

فاستعذْنا ضَحِكَنَا مثلَ الخُيُول
في الحُزنِ يأتي الضَّحِكُ صَاعِقةً
ويبدو الحبلُ جسراً لانتحاراتٍ مُؤجَّلةٍ
أتى ما يُشبهُ اللّعِبَ الخفيف
على نزيفِ الجرح
كنَّا نشتكي ممَّا يُؤجِّج صبرَنا
ما يجعلُ الأخطاءَ مَثْلَبَةَ المُهرِّج
وانتصاراً للدُّمُوع
فليس للمَوتىَ رُجُوع.

نَستعيدُ شهامةَ القَتلىَ
وهم يَتمرَّغُون على غُيُومِ الخَلْق
يَعتقدُون في ذُعْرِ المُهرِّج،
في شهادَتِه،
نَجَاتُهُم،
ويكترِثُون بالمَعنَى الخُرافيّ
الذي صاغَ المُهرِّج
وانتمَى للسِّيْرك.

نلعبُ بالمصائر

مثلما يتألّقُ الصّلْصَالُ في نيرانِه

نلهو بما يتعلّمُ الأطفال

بالمَعنَى وشبهِ دلالةٍ

وثلاثِ أخطاءٍ مُؤجَّلةٍ،

فنحنُ الخاطِئُون

ونحنُ غلالةٌ في حاجبٍ

نحنُ اللّيل،

لا أحلامَ فيه

ولا يَكفِي لسُخريةِ المُهرِّج

فالذي يَمشِي على حبلِ السُّكَارَى

ليس نحنُ،

ومَنْ يَصُبُّ الزَّيتَ في المَاعُونِ لسنا.

غيرُنا مَنْ يَطمئِنُّ لِضَاحِكٍ

كتمثُّلِ المَعنَى

ويلحقُ بالدّلالة.

لا نُحاولُ التّفسير

لسنا هاربين

لا يَعنِي لنا شيءٌ

إذا ماتَ المُهرِّج

وانتهى فينا هَوَاءُ اللَّيل،
سنموتُ مثلَ الآخرين
وغيرُنا لا يَذكُرُون لنا سوى بعضِ الغُبار
حَزَنًا أو فَرِحْنَا
فالمُهرِّجُ سوف يأتي.

لنا فيه فَنَارٌ
يجعلُ السُّفُنَ البعيدةَ تقترب،
فلتقترب
ولتقترب.

هذا هو القبرُ

إذنْ
ظننتُ أنهُ أوسعُ قليلاً
كي أمدَّ يدي الى قَلَمِي
وأكتبُ ما نسيتُ.

القبرُ، تقريباً
ظننتُ بأنه أرْحَبْ،
وأكثرُ رحمةً ممَّا خَبِرْتُ مِن الحياة

قبري
غرفةُ الكابُوس
لم أعرفْ طريقاً ضيِّقاً للبيت
لم تَعرفْ خُطاي،
وكلَّما أخطأتُ درباً
شدَّني دربٌ
وأغراني طريقٌ
وانتهتْ بي جنَّةُ النِّسيان

للباقِي من الذِّكرى

أرى قبراً
أرى مُستقبلاً
وأرى بلاداً.

يا ابنةَ آخرِ فارس

سيموتُ تقريباً
إذا انتعشَ الهَوَاءُ بقلبِهِ
سيموتُ كي تنسين
ما الذي يُدميك
سيفٌ وخنجرُ مقتلٍ
وجوقةُ غائبين.

ينتابُني حُلْمٌ صغير

أنتهي في وردةٍ
أن يغسلَ الماءُ الزُّلالُ عواطفِي عندَ الغياب
أن أكتفيَ بالخبزِ عندَ الموت
حُلْمي بسيط
وانتهاءاتي بدايةٌ للآلهة
في صلاةِ المؤمنين
حُلْمي حنينُ الطِّفلِ وهو ينسى
جنَّةُ النِّسيان مَهدٌ للطُّفُولة
ينتابُني حُلْمٌ،
يصيرُ الضَّوءُ قُفْطَانِي
وترتكبُ الكُهُولةُ غلطةً أخرى
وأسحبُ مِن ردائِي خيطَ المَعنَى
حيثُ الخبزُ ينضج
حيثُ الضَّغائنُ في البابِ والنَّوافذ
مثلما ريشِ الحَمَام
مثلما النِّسيانِ يتذكَّر

مثلما السِّينِ في السَّحَاب
والنُّون في الطَّيْلَسَان
حُلْمٌ صغيرٌ في الكلامِ وبعدَه.

بعدَ أن يشربَ خمرتَهُ القديمة

في مُنتصفِ اللَّيل
يَستلقِي على أطرافِهِ التَّعبَى
ويَنسَى
بعدَ أحلامٍ صغار
ومُشتهَى اليومِ المُضاع
سيُطفِئُ جمرةً في كفِّهِ الأخرى
ويَنسَى
لكأنَّهُ يمشي بليلِ سلامِهِ الرُّوحيِّ
يَستثني اختلافاً عارضاً
يَمشِي ويَنسَى
كلَّما طافتْ به الرُّؤيا
يرى أحلامَهُ مُنهارةً
يَغفُو ويَنسَى
عسى أن تقتفيَ قَدَمَاه
ريشاتِ أجنحةٍ مُجرَّحةٍ
ويطالُهُ ماءُ الهَوَاء
يمسُّ بابَ الغيم

غيمٌ سيُنقذُه
ولا يتذكَّرُ المَعنَى
ويَنسَى.

في بيتِ برلين

في بيتِ برلين أخطأنِي الموتُ
حتَّى إذا ما التَفَتُّ أُعدِّلُ صوتي
سمعتُ النَّحيب
في بيتِ برلين أمهَلَنِي الموتُ
كي ألحقَ ما فاتَنِي مِن شِعْر طَرَفَة بن العبد
أُكمِلُ كَشْفَ المُغيَّب مِن شِعْره
ومِن موتِهِ بالنَّبيذ
في بيتِ برلين صادفَنِي أخضرُ مُستمرٌّ
وبعضُ الزُّرْقَةِ الغامضة
أخضرُ طازجٌ
ومُستغرقٌ في الطَّويلِ النَّحيل
في بيتِ برلين
حاولتُ نسيانَ نسيانِي المُستحيل
لكي أتذكَّر أصحابِي الميتين
في البيت
في الموجِ بين الرَّدْهَاتِ الفسيحة
بين النَّوافذِ والشُّرفات
لديَّ مِن الأصدقاءِ والصُّحْبةِ الباسلة

مثلَ كتابٍ قديم

مثلَ الشُّجيراتِ تمتدُّ عبرَ الحديقة

أخطاءُ موتِي ونسيانه

موتِي وعُنوانُهُ الرِّيفُ عبرَ المدينة

في بيتِ برلين أخطأتُ موتي

كي أستقرَّ وحيداً

وهم يذهَبون

في بيتِ برلين وحدِي

أراهُم بعيداً

أراهُم بعيداً

لا الموت،

لا مجاملاتُ الحياة

يُصلُّون خلفي

وبعدَ الصَّلاةِ أظلُّ وحيداً

بلا موتٍ، بلا صُحْبة

ولا ذكريات

بيتُ برلين يُخطِئُ موتَ الحياة.

ندمي

إنني لم أمتْ عندما ماتَ أكثرُ الأصدقاء
ماذا سأفعلُ وحدي
في رواقٍ يضيقُ
ويضطرُّني للهديل؟
ماذا سأعملُ بالذِّكريات بلا أصدقاء؟
ما الذي سوف يَنسَى سواي؟
مَنْ تراه سيَذكُرني مستفرِداً في قميصٍ نحيلٍ؟
سأندم كلَّ النَّدم
ويقتلُني مستثارُ الألم
يذهبُ الأصدقاءُ
وينزاحُ عنِّي سببٌ للبقاء،
وحيدٌ بلا أجنحة
لغتي الرَّاجحة
تُفسِّر لي الفَقْدَ في الصُّبحِ والبارحة
ندمي ساطعٌ
ووَحدَةُ روحيَ في جنَّةٍ جانحة
لم أمتْ
أم أنني لا أموت

أيُّها الله
ستذكرُني،
لكنْ؛ متى سأفقد روحيَ؟
وكيف
أُحصي جراحي؟
هل ستحسبُ العُمُر لي في النهاية
كالفاتحة؟

ندمي جارحٌ
ونزفي طويلٌ
وأفقدُ من أصدقائي
ما يقصرُ عنه بُكائي
كما يُفتقَدُ الوردُ والرَّائحة.

متْنا

كما مات الأوَّلون مِن قبلِنا
أسلافُنا
وأحفادُهُم
قضَوا مثلَ الذين سيمُوتُون
أو مثلَنا
ولن يتذكَّرَنا غيرُ أحفادِنا
بعضُهُم، على كلِّ تقدير
قد يمسحُ الطِّينَ عن صفحةٍ تتحدَّث عنَّا
في كتابِ الوصايا
بعضُ أحفادِنا
وهم يكشفُون
أو يكتشفُون البقايا
في جثَّةٍ أنتنتْ
لفَرْطِ انتظاراتِها
ويَستحدِثُون انتهاءاتِنا في بداياتِهم
ويَكتشفُون الأكاذيبَ التي صاغَها لهم
تاريخُ أجدادِهم
تلك الأكاذيب

محسوبةً كلَّ تاريخهم
ولن يبقى إلَّا صدىً من صريرِ السَّلاسل
تاريخُنا
أصفادُنا تتحدَّث عنَّا
وأحفادُنا ينتهون
كما تنتهي النَّارُ في الخبز
مثلَ الفنارِ الأخير
هل صخرةُ البحر
آخرُ ما تتذكَّرُهُ الأرضُ في شاطئٍ
نموتُ عليه
كما ماتَ من قبلِنا الأوَّلون
حُلْمٌ في العُيُون
ومُستقبلٌ في جناحِ الجُنُون.

سأموتُ

(النِّسيانُ نَفيٌ قَسريٌّ)

مثلُ وُريقةِ الرُّمّان
تيبسُ بَغتةً وتكفُّ عن لونِ الحياةِ وتنتهي.

سأموت
مثلما يتذكَّرُ المستقبلُ الماضي
ويُخطِئُ في الخُطى
شجرٌ،
ويكفُّ جنديٌّ عن التَّلويحِ وهو يغيب
في غيمِ المُصادفة
المدى
ليموتَ مثلَ بقيَّةِ الأسلابِ بعدَ الحرب
مثلَ كنيسةٍ تُصغِي وتَنسَى
وحدَها
تُصغي وَحدَها لنشيدِ جوقتِها
كأنَّ جنازةً تمشي وتُحصي في خطاياها
غُبارَ ذريعةٍ للموت
سوف أموت
وحدِي مثلَ قنديلٍ يجفُّ الزَّيتُ فيه

بعد أن أُنهيَ قصيدتيِ الأخيرة.

شاحبُ الكلمات

يَنسَى همسَتي

الكُتَّابُ والقُرَّاء

يمحوني بُكاءُ الأصدقاءِ مِن الحقيقة
سأموتُ في سورِ الحديقة
مثلما تتبادلُ الأغصانُ دَورتَها
وأدوارَ الفُصُول
أموت
قبلَ رصاصةٍ في الخيل
تُنقِذُها مِن الذُّلِّ الأليم
ربَّما ينتابُني ندمٌ على التَّأخير
عن موجٍ يُغرِّرُ بالرَّحيل
أموتُ أسرعَ من دُمُوعِ الحزنِ في موتِي
عن عُيُونِ الأهل
سأموتُ أكثر
كلَّما أدركتُ فَقْدَ الأصدقاء
سأموتُ بعدَ الموت
حتَّى أُدركَ أنهم ذهبُوا إلى كُتُبي
يتأكَّدون
ويسألُون:
لماذا ماتَ؟

كيف يموتُ الميتون؟
هل موتُ القصيدة
صورةٌ أخرى لموتِ الشخص
والذي يبقى إذنْ من شاعرٍ
يأتي من القاموس
مثل خُرافة
ويموت؟

سأموتُ كي أنجوَ من الدَّرسِ الرَّكيك
أقل من فرضِ الإجابة
بالكتابةِ تنتهي بالموت
للقُرَّاءِ حَقٌّ لستُ أُدركُه
ولي حقُّ الغياب مجلَّلاً بالموت
سأموتُ وحدي
أتركُ الأقلامَ والورقَ المخطَّط
يمَّحي بعدِي وحيداً
سوف يأخذُهُ الى النِّسيان
وأكونُ قد أنهيتُ نصَّ البحر
راجعتُ البروفة
واقترحتُ البُرتُقالَ، لكي يكونَ البحرُ أخضرَ
مَوتِي مُنتَهَى مَوجِ الضَّغينة
وانتحارِ فراشةٍ
شكوى فلاسفةٍ يعدُّون الحقيقة في ظلامِ الكون

موتي بهجةُ الشُّهداء
ماتُوا يسأمُون ويُعلنُون اليأسَ من جنَّاتِهِم
سأموتُ في نهرِ الغُمُوض
فالموتُ مُلتَبِسٌ
ومُختلفٌ عن المَعنَى
ومجهولُ الدّلالة
كي أُضلِّلَ شَهوةَ النُّقَّادِ في التَّأويل
حين أموت
لا أثرٌ يدلُّ على خُطاي
ولا رُؤَاي خريطةٌ للنَّصِّ
حين أموت
يَكتمِلُ الغُمُوضُ
ويفشلُ التَّعبيرُ
يبقى النَّصُّ يجهلُ أينَ ذهبتُ
حتَّى إذا سقطَ الكتابُ عن الصِّرَاط
وكفَّت النِّيرانُ عن دَوَرَانِها الكَونيّ
وانتهتِ السَّماءُ
أكونُ قد أنهيتُ فَصْلَ الموتِ والنِّسيان
وأموتُ ثانيةً على مَهْلِي
لأجلِ تدفُّقِ الأحلام.

كنتُ أنامُ
بعد المَوتِ كي أنسى

فينسانِي على نارِ انتظارِي
كيفما يمَّمْتُ
متُّ
لا انتظارُ الباب بابٌ
لا الذهابُ إليه نسيانٌ
وموتُ الكائن الموجود
حيَّاً، ميتاً
ينفيكَ مَنْ ينساك
أو يمَحوْك.

دَعِينِي هذه المرَّة

ودَعِي تفاصيلَ الجناح
لكي يُتاحَ لكِ الهَوَاء
لكي يطيشَ الرِّيشُ بك
ولكي تُحِسِّي بالنَّسيم
يصيرُ في أُرجُوحةِ القَدَمَيْن
كي تَبنِي لكِ الفلواتُ تاجاً خادماً
ودَعِي المسافةَ كاقتراحٍ طارئٍ
فلكِ الخيارُ المرُّ
بين الماءِ والخمرة
دَعِينِي هذه المرَّة
قَرينَ الرَّملِ والغزوات،
وأن أرى ما لا ترين
لكي أُخبِّئ جنَّتي المفقودة العنوان
في عينَيْك
أرى ليدَيْك ما يحتاجُهُ قلبي
وما يحتاجُهُ ريشُ الجناح
دَعِي الجراحَ
دَعِي البقايا،

سوف تَشفينا البقايا،
وتُداوينا البقايا
فدَعِيْها للجِراح
ودَعِيْني هذه المرَّة
أمُتْ حسرةً
إذا لم يختفِ المحمومُ في عينَيْك
أرى ليدَيْكِ
تمثالَ المرايا وهو يمنحُ الحُرِّيَّةَ الأولى
لما يَبقَى من الماءِ الثَّقيل
دَعِي ما ينتهي ... يبدأ

لا لكي أُطفِئَ النَّار

كي تشتعلْ
وتأجَّ
وتسيلَ في البيتِ وأثاثِه
لديَّ جَمْرٌ لهُم
لديَّ الأعاصير
ومِن جحيمٍ لديَّ لهم
الحِمَمُ
مَنْ يُريدُ القميص؟
مَنْ يشتهي؟
مَنْ قاسَ له الكفنَ المستعار؟
لا أُطفِئُ النَّار
أرجُو لها الجَمرَ والرَّملَ والانتظار
لا أُطفِئُ في لهبِ الدلالات
فتنةٌ للمَعانِي
أزفُّ لها جوقةً للتَّهانِي.

والماءُ في ثَلجِه

ما الذي يجعل حبرَكَ في دفترِ اللَّيلِ أبيضَ
اللَّيلُ يتركُ في قَمَرِ النَّاسِ كأساً
أُميرُهُ عن سِواه
بمَخْبَرَةٍ مِن ذَهَب
فلماذا العجب؟!
أكتبُ بالأبيضِ المُشتهَى
ما يروقُ لها
وأتبعُ أخطاءَ رُوحي
تُعذِّبُني
وأتركُها
مثلَ جُرحٍ لديهِ من الدَّم
ما يَصقُلُني كلَّ يوم
لأفتحَ رُوحي بها
وهي تُدلِّلُ بي حُبَّها
وانتهيتُ
انتهيتُ؛ ليبدأ حُبِّي لها
مِن جديد.

نموتُ على مَهْلٍ

كأنَّما الموتُ لا يكفي

وليسَ قياسَنا

وكأنَّما في السُّرعةِ القُصوى نموتُ

بلا غُمُوض

وليس لنا دلالة المَوتىَ

إذا متْنا سريعاً

نرجو من القُفْطَان كي يصيرَ قميصَنا

يا ليتَنا متْنا مع الماضي

وأجَّلْنا استحالتَنا

على مَهْلٍ نموت

وفَوقَنا

متران مِن رَمْلٍ ومِن حَجَرٍ

نَموتُ كأنَّنا الذِّكرى

كأنَّ غيابَنا يَنفِي الكتابة

ليتَنا متْنا مع الماضي

وأبقَيْنا على مُستقبلٍ

يَبقَى لنا

فالموتُ لا يكفي

وليس لنا في غُرفةٍ في الأرض

ليس لنا

سوى مترٍ من الأعماق

وفوقَنا مترٌ مِن الأخطاء،

هل جازت لنا تهويدةُ القَتلَى

لكي نَبلَى قُبيلَ الموت؟

الفاعلُ القديم

لا يزالُ قديماً

دونَ أن يفعلَ شيئاً

الأرضُ وسيعةٌ والحياةُ ضيِّقة

ما الفعلُ الذي يتأجَّلُ كلَّما هممتُ به؟

ما الطُّرُقُ التي مشيتُها

حاملاً صفيحة المونة والرفش؟

كلَّما حاولتُ البناءَ هدمتُ

لا أقوى على البحر

والأرضُ أبعدُ مِن خُطاي

لم أُحْسِنِ العَوْم

والبِحَارُ كثيرةٌ

تَقصرُ عَن دَرسِ العوم

فالغرقُ يُغرِي أكثرَ من الماء

أتقهقرُ حتَّى الأسلاف

وليسَ لكلماتي قامُوسٌ ولا مَعانِي

فاعلٌ يَعجزُ عن ذلك.

الوميضُ

كلَّما لَمعَ وَميضٌ في الأُفق
اقتحمَنا عَتَمٌ يمَحُو الاحتمالات
ثمَّةَ ما يترصَّدُ التَّحوُّلات حولَنا
مَنْ نحن؟
مَنْ يذكرُنا؟
ومَنْ ينسانا قبل اليقظة؟
أحلامُنا بالضَّوءِ تذهبُ سُدىً
وانتظاراتُنا تجعلُ المحطَّات سَدِيماً
لا يسبقُهُ خَلْق ولا يليه.
أيُّها الوميضُ اِنتَظِرْنا
أيُّها النُّورُ انظرْ إلينا وانتظِرْنا
هل الرِّيشُ لا يكفِي؟
وهل الريحُ تقصرُ عنَّا؟
وما الفرقُ بين الكوابيسِ والمَحو؟
هل الزعفرانُ في الأبيض
أم الحُلْم في الصَّحو؟

لو متُّ قبلَك

مثلَ كُرْكيٍّ يُجرِّبُ أن يُحرِّكَ ساقَهُ الأخرى،
تعثَّرَ بي كلامُ البحر
وانتهتِ البُحيرةُ بي أسيرَ الماء

لو،
مَنْ يستطيعُ الموت
مَنْ يُرخِي غناءَك في سماءِ الحُبّ
لو متْنا معَك
سنعودُ مثلَ الطَّيرِ مَذبُوحاً بلا ريشٍ
ولا حُرِّيَّةٍ
وبلا احتمالاتٍ تُؤجَّلُ في المراثي
كي يموتَ الموتُ.

مثلُكَ لا يموت
ولا ينامُ الآخرون بريشةِ المَذعُور
نحنُ كالطُّيُور
لنا هَوَاءٌ سوف ينقلُنا الى مُستقبلِ الماضي
علينا أو لنا
هذا هَوَاءٌ مِن حديد

ولا جديدَ يستطيعُ الطَّيرُ حملَ رِدائِه.

مَنْ يستطيعُ الطَّيرُ حَمْلَ رِدائِهِ القُطنيّ
غير الريش؟

لماذا أنتَ حزين؟

يتنظرُ الدَّمعُ في مُقلَتَيْك
وفي كاحلَيْكَ احتكاكُ المعادنِ
مثلَ الجليدِ الحديدي
هل أنتَ حُزنُ الرُّؤى المُستهامة؟
وهل "الشهانامة" كتابكَ قبل الكتابة؟
ومن أيِّ بابٍ ستدخل
كي يستمرَّ الجمالُ يُؤلِّفنا
ويمسحَ في دمعِنا نكهةَ "الشخصنامة"؟
حنانَيْكَ قُل لي
لماذا أنتَ الحزينُ الأخيرُ في المُنتهى؟
كلُّ شيء سيبدأ حيثُ انتهى
حزينٌ ستفرح في مُقلتَيْكَ الدُّمُوعُ
ويكتبُ حُزنُكَ في الاحتمالِ كلامَه.

قلمِي في المحابر
والماءُ في النهر
وما ينتهي

ينتهي في القيامة
جاءَ إليكَ الكلامُ كما ذابَ في الماء
ثلجُ النَّدَامَة.

كتابٌ من النَّاس

هذا الكلامُ أُسطورةٌ
يَشطحُ فيها الخيالُ
ويكتشفُ المرءُ قُدرتَهُ البشريَّة
على الصِّدْقِ في حُلْمه.

كتابٌ مِن المُخيِّلة الطَّائشة
مِن اللهِ والفاحشة
جمالُ الخُرافة
جمالٌ سيخفقُ فيه الجمالُ
كما القُبح
مثلُ السَّلافَةِ وهي تفيضُ على قَدَحِي
لا يعرف العقلُ رفَّاً لها في الكتاب
لا يعرف العلمُ مَعنَى كلامي
كتابٌ له ألفُ وجهٍ وألفُ جواب
يستخفُّ بما ينتمي للجمال
كثيرُ السؤال
كتابٌ من النَّاس
الله والمُرتَجَى

كلامٌ وأُسطورةٌ
تَسكَرُ الآن في لونِها القَزَحِيّ
تجلسُ في مَخدَعِي
في انتظارِ قيامِي.

ليس أن نبدأ

على مَهلِنا
انتهاءُ القصيدةِ هو المشكلة
ثلجٌ وماء
ففي النَّسمات يظهرُ الصَّيف
ربمَّا في الشِّتاء
فيهِ ما يَغْمُضُ
وما يَختَفِي
تلك هي القصيدةُ التي أكتب
تبدأُ ولا تنتهي
لعلَّها تنتهي
ففي النِّهايةِ تبدأُ البدايات
سأظلُّ أكتُبها
كلَّما قاربتُ على الانتهاء
سأبدأُ ثانية
هكذا تنتظرُني في القصيدة
نهايتُها
هكذا أنتهي قبلَها
نختارُ موتاً يَليقُ بنا
نبدأُ كي ننتهيَ على مَهلِنا.

رأيتُكَ منتعشاً

والدِّماءُ التي تتفصَّدُ في كاحلَيْك
قُيُوداً عليك
رأيتُك
مثلَ الذي فاضَ مِن ذَهَبِ القلبِ حُبّاً
ومِن فِضَّةِ الأصفياءِ مِن الأصدقاء
رأيتُكَ ورداً وماء
فكُنْ على الحبرِ لوناً
وكُنْ ليَ دماً
وكُنْ لي دواء
رأيتُكَ ينتعشُ الغيمُ في مُقلَتَيْك
ويزدهرُ المُستحيل
وينثالُ ليلٌ طويلٌ
فلستُ غريباً على خشبِ النَّار
على خشبِ النَّعْش
لستُ من خشبٍ في السفينة
أنا في الرَّهينة
كي ينتهيَ سَفَرُ الهاربات
ينتعشُ الموتُ مثلَ النَّبات

رأيتُكَ باباً وبيتاً
على غابةٍ
كلَّما ابتدأ النَّوم
كنتَ انتهيت.

اكتبْ لهم واكتبْ عليهم

وامسحْ على أكبادِهِم بالصَّبرِ بعدِي
كُنْ في غيابِي
كنْ لهم.

هل وَحدَهم؟
هل أنا في الغيبِ وحدي؟
ربَّما خِفتُ قليلاً بعدَهُم
وَحدِي وحيداً
بعد أن أودعتُ قلبِي عندَهُم
اكتبْ لهم صبراً جميلاً
كي أرى في حُزنِهِم حُزني عليهِم
لستُ وَحدِي مَنْ يمَوت
سأكونُ أقربَ مِن وريدِ القلب
أقربَ مِن نزيفِ الدَّمِ في القلبِ البعيد
إليهِ يَسعَى بالمحبَّة
نحوَهُم
فاكتبْ عليهِم أن يَروني
كلَّما التفتُوا يَرونِي عندَهُم

لا يَفقدُوني
كُنْ لهم مثلِي
تُهَدْهِدُهُم إذا نَامُوا
وتمسحُ حُزنَهُم كي يضحكَ التُّفَّاحُ
كي ينموَ على أكتافِهِم وَردٌ
وتأخذُ الأزهارُ من ألوانِهِم
وينامُ ماءُ الفجرِ في بابِ النَّدى
تذهبُ أشعارِي سُدىً
اكتبْ لهم
واكتبْ عليهِم.

على جَليدِ هذه الحياة

يُمكنُ، في لحظةِ غباءٍ قويَّة، يَحدُث أن تنزلق
وإذا حَدَثَ أن شمساً تبرَّعتْ بصقلِ ثَلجِ اللَّيل
سوف تتعثَّرُ قَدَمَاكَ بالضَّوءِ المُعتِم
وتنزلقُ
تنزلقُ ويكادُ معصمُكَ أن يُكسَر
تنزلقُ
فتتلقَّاكَ زوجتُكَ بحُضنِها
يومٌ مِن ثَلجِ العالم
تُشرفان، أنتَ وزوجتُكَ، على شتاءِ الكون
على البُحيرةِ المتجمِّدةِ ذاتِها
وفي البردِ القارسِ ذاتِه
منذُ قبلَ الشِّتاء
كنتُما في الرَّبيعِ الطَّويلِ مِن العُمُر
كأنَّما خمسُون ربيعاً متواصلاً
يحيلُون حياتكما دفئاً كاملاً
بلا ثُلوجٍ ولا مدافئ.

تنزلقُ فتأخذُكَ الذِّراعان

اللّذَان منعا عنكَ البردَ والتّحوُّلات
حُضنُ زوجتِكَ الذي يَدَاها علاجٌ ناجعٌ
يحسدُكَ عليه الصَّديقُ الألمانيّ
يتمنّى الكَسرَ في يدِه
لترأفَ به يدا امرأةٍ مثلَ زوجتِك

يومَ انزلقتَ
فتلقاكَ زوجتُك
وترأفُ بك.

اكتُبْني على الرُّمَّان

فِي ورقٍ غزيرِ اللَّون
دَعنِي أنتمِي، أنمُو
كما الأشجارِ والأغصان
واكتبْ دَمِي
فلعلَّني أغفو على قلقٍ
وأصحو مُستعيناً باحتمال
اليأسِ في الألوان
اكتُبْني
ودَعنِي في انتظارِي
للبريدِ، مُضلِّلاً للوقتِ والعُنوان.
لحديقةٍ وفاكهةٍ تهدَّلَ وَرْدُها
وشحَّ الماءُ فيها
واستجارَ الجَمرُ بالنِّيران
اكتُبْني
تَرَانِي طائراً في غابةٍ
مَحكومةِ الأقفاصِ والجُدران
واكتُبْ جنَّتي في الجَمرِ والنِّيران.

كادتِ السماء

أن تمسخَ الأرض.
أن تجعلَ الماءَ أُرجُوحةً للهَوَاء.

شربتِ الشَّمسُ كأسَها

واستراحتْ
دخلتْ زِنْزَانَتَهَا البحريَّة
وسحبتْ أحلامَها مثلَ شالٍ،
وشاحٌ يتدفَّأ بما يَبقَى مِن الضَّوءِ فيها
شمسٌ لها الجَمرُ سقفاً ونافذةً أو ستاراً.

قالت الآلهة

لم نَخلقِ البشر
هم مَنْ فَعلَ ذلك
ولا يزالُون.

غزالتُكَ تغمرُني عشقُها

مثلُها سوف أكتبُ بالعطرِ أخطاءَ قلبي
دمعُ الغزالة سجَّادةٌ للصَّلاة
دمُ الغزالةِ أُغنيَّةٌ للنَّجاة
درسُ الغزالةِ أعرفُ فيها احتمالاتِ قلبِي
أُلَبِّي نداءَ الغزالةِ
أنهالُ مثلَ الصَّحَاري
وقلبي رسالةُ حُبٍّ يُقَدِّسُ قلبَ الغزالة
يا غزالاتي التِّسعُ
مِن أين آتيكِ مُستنجداً بالغُيُوم
تفصَّدتُ في عَسْجدٍ
في عُطُورٍ مِن الجنَّةِ تَهمِي؟

بلادِي في وَردةٍ
في رَمادٍ
في غزالٍ تمثَّلتُهُ صفحةً فوقَ كُتُبِي
دارُ الغزالةِ أخبارُها في غيابي
دُرَّةٌ في الغزالةِ تاجُ المعادِنِ في المرضِ المُستحيل
دَفترٌ في النَّخيل

مَخطوطةُ النَّاسِ تهذي
فأسمعُ رَمْلَ الصَّحَاري
يَألَفُني في الكتاب.

كانت بلادي
وكنتُ في صفحتِهَا التَّالية
لغةٌ بالية
غزالتُها الباهية
دَلَعٌ في خيطِ قُمصانِها اللاَّهيَة
وداناتُها من البَحْرِ والنَّحْر
حتَّى فراشاتُها التِّسْع
يا للغزالة!
يا للبلاد التي في وَردةِ الحُزن
وفي عينها الغافية.

صلاةُ الطُّفُولة

مَقبولةٌ
ويفتحُ لها اللهُ الكتابَ الكبير
تنتخبُ الشَّمعَ
تُوقِدُهُ على شُرفةِ النُّور
تُشعِلُه
على أملِ الضَّوءِ مُنتصراً
في دامسِ اللَّيل
في مُنعطفاتِ الخريطة.
طفلةٌ
تعرفُ الضَّوءَ مِن اسمِه
وتكتبُهُ في ورقِ الله
آيةً تَعبُرُ السُّور
وردةً خافية.

كنتُ المَعدِنَ المريض

وكانتِ النِّساءُ أُغنيَّتِي في الماء
لا البحرُ يَروينِي ولا السَّماء
كانوا يَقيسُون الذَّهبَ القديم
بالمَعدِنِ الحزين
ولا يرى العاشقُ غيرَ ظِلِّهِ في الماء
فتعرفُ النِّساء
أنَّ المرضَ الأخير
ينتابُ المَعدِنَ الحزين
فتبدأُ النِّساءُ في النَّجيب
حُزناً على الحبيب
أُغنيَّتي أُنشودةُ السَّماء
عرفتُ طَعْمَ الماء
رائحةً غاديةً تُضارعُ النَّسيم
كالذَّهبِ القديم
يشيخُ قبلَ وقتِه
يَمرضُ قبلَ موتِهِ بالمرضِ الأخير.

حديدٌ، نحاسٌ، صفيحٌ

فضاءٌ فسيح
بيننا درجٌ يأخذُ أقدامَنا
نحوَ ما نصنعُ به
فِهْرِساً للمَعَادِنِ
للعَائدِيْنِ مِن الموت
فِضَّةٌ تلمعُ في أصبعِ الذَّاهبِ للموت
فَرَسٌ تحجلُ بالذَّهَبِ الشَّائخ
والحديدِ الخفيف
ذَهَبٌ في الخريف
يُسوِّرُنا
يُقيِّدُ أقدامَنا الذَّاهبات
إلى حَتفِها
مَنْ لها غيرُنا
طُرُقٌ مُصفَّحةٌ بالنَّبيذ
عِنَبٌ واعتقاداتٌ بالمستحيلِ الوشيك
بما يُمكنُنا قولُه
ويُمكنُنا فعلُه؟
نُعيدُ المَعادِنَ إلى أصلِها

نُصلّي لها
ونُطلقُ أجملَ ما نَشتهِي
في غابةِ المُستحيل

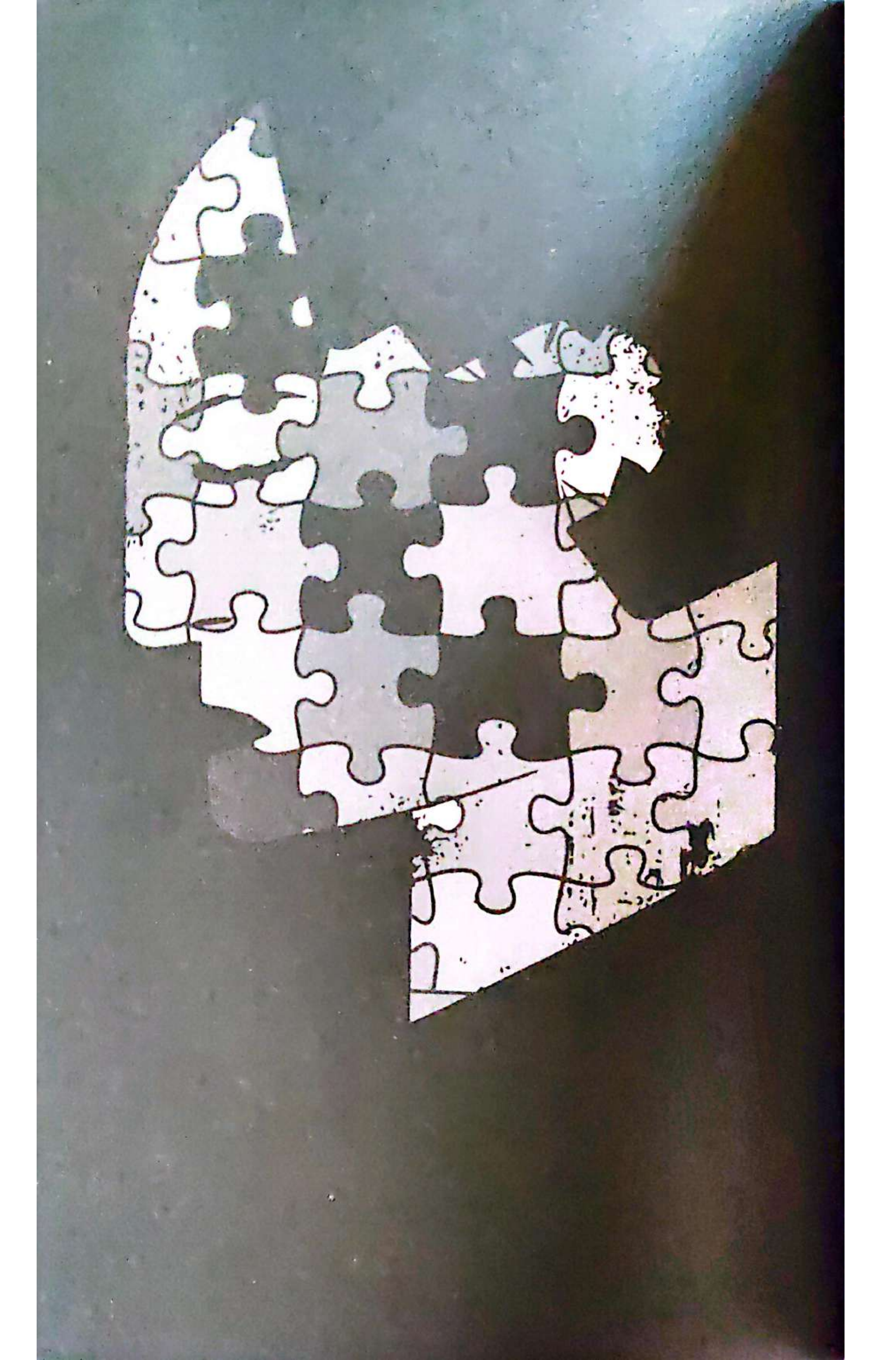
جَرَسٌ يخسرُ، في الانتظار،
صَوتَه
ويُخفِقُ في النّخب
ليس له في الخَمْر
ليس له في النَّبيذ
ليس له في الكُحُول
ففي ألفِ قَصْعَةِ ماء
وفي ألفِ باب
جَرَسُ البيتِ صوتٌ يقول:
يَخسرُ ما يَخسرُون
الذين يَمُوتُون
أو يَذهبُون عن الموت
المُمكنِ المُستحيل
ذَهَبٌ في ذَهَبْ
نُحاسٌ، حديد
سيِّدُ المَعدِنِ المُستثار
جَبَلٌ لا يميل.

قاسم حداد

قاسم حداد: شاعر من البحرين، ولد عام 1948 في مدينة المحرق البحرينية. يُعدُّ من أبرز شعراء القصيدة الحديثة. حصل على إجازة التفرّغ للعمل الأدبيّ من وزارة الإعلام البحرينية العام 1997، وشارك في تأسيس أسرة الأدباء والكتّاب في البحرين العام 1969، كما شارك في تأسيس فرقة (مسرح أوال) العام 1970. يعد موقع (جهة الشعر) الذي أسَّسه منتصف التسعينيّات وإلى غاية 2018؛ فضاءً أدبيّاً وقبلة لعدد من كبار الأدباء والكتاب العرب والمهتمين بالثقافة العربية.

صدر للشاعر عدد من الدواوين ابتداء من العام 1970، منها: «قلب الحب»، «الدم الثاني»، «البشارة»، «القيامة»، «شظايا»، «انتماءات»، «النهروان»، «مجنون ليلى»، «عزلة الملكات»، «يمشي مخفوراً بالوعول»، «الجواشن»، «علاج المسافة»، «قبر قاسم»، «له حصة في الولع»، «ورشة الأمل» (سيرة شخصية لمدينة المحرق)، «أيقظتني الساحرة»، «ما أجملك أيها الذئب»، «لستَ ضيفاً على أحد»، «فتنة لسؤال»، «الغزالة يوم الأحد»، «ثلاثون بحراً للغرق»، و«لا تصقل أصفادك».

فهرس الكتاب



سنبكِي دماً
ولن يكترثَ الآخرون بنا
إننا أسفُ الأمسِ والبارحة
على لَبَنٍ، ليس ينفعُنا، في التُّراب
مثلنا،
نحنُ في قلعةٍ حُرَّةٍ
ومن دونِ باب،
تلك قصَّتُنا الجارحة.

